بقلم: فهمى عنبه

منارة الإسكندرية.. من سراج الدين إلى الفقى

اعتبر الاغريق ان فنار الإسكندرية «فاروس» أحد عجائب الدنيا السبع.. ولكن الأهم منه عند المؤرخين «مكتبة الإسكندرية» التى سبقته وكانت المنارة التى تشع بالعلم والمعرفة والثقافة وتضيء العقول وتلهم المفكرين والفلاسفة على وجه الأرض فى العالم القديم.

رغم الاختلاف حول مؤسسها وهل هو الإسكندر الأكبر أم بطليموس الأول.. إلا ان الجميع اتفقوا على انها أول مكتبة عمومية مدنية حكومية فى العالم «لأن الفراعنة عرفوا المكتبات فى المعابد وكانت للكهنة ورجال الدين» وضمت أكثر من ٧٠٠ ألف مجلد ومخطوط من أعمال كبار الأدباء والشعراء والفلاسفة أمثال هوميروس صاحب الالياذة وأرسطو وأفلاطون وسقراط وكان أول من تولى مسئوليتها «الفاليرى» فى عام ٢٤٨ قبل الميلاد.

ولأن التاريخ مليء بالروايات غير الموثقة فإن أغلب القصص تقول انه بعد ٢٠٠ عام من إنشائها قام يوليوس قيصر فى عهد الملكة كليوباترا بإحراق السفن الموجودة أمام المكتبة ولكن النيران امتدت إليها وأحرقتها بما تحويه من كنوز نفيسة وكتب ومخطوطات فقدتها البشرية.. وسواء كانت القصة سليمة وقيصر هو الحارق أم كان غيره فإن المكتبة كما هو ثابت دمرت تماماً قبل الميلاد بسنوات.. وظل كل مثقفى العالم مشتاقين لعودتها لتشع بنور المعرفة من جديد.

أحيت مصر مشروع مكتبة الاسكندرية بالتعاون مع اليونسكو.. وأعيد افتتاحها بالفعل فى احتفال كبير عام ٢٠٠٢ أيام الرئيس الأسبق حسنى مبارك.. وتحولت إلى مركز اشعاع ثقافى فإلى جانب وجود أكثر من ٨ ملايين كتاب.. فهى تضم متاحف ومراكز دراسات وأبحاثا وصالات عرض وقاعات مؤتمرات دولية وتحول مبناها إلى مزار دائم للمصريين والسائحين العرب والأجانب ولكل أهل الفكر والأدب والفن والثقافة.

منذ إعادة افتتاحها عام ٢٠٠٢ تولى مسئوليتها الدكتور إسماعيل سراج الدين الذى كان يوماً مرشحاً لإدارة اليونسكو.. ولكن أراد الله الخير لمصر بإسناد مهمة المكتبة له فقد استطاع خلال ١٥ عاما أن يضعها ضمن أهم المكتبات والمراكز الثقافية الدولية وأصبحت لا تقل عن مكتبات الكونجرس بواشنطن والانجليزية بلندن والوطنية الصينية والألمانية والروسية وهارفارد وهى بالفعل تتواصل مع تلك المكتبات.

أهم ما قام به الدكتور سراج الدين انه جعل المكتبة تحدث حالة ثقافية فى كل أنحاء مصر.. بل ولها أصدقاء فى أنحاء العالم ودول البحر المتوسط كما ينتشر أصدقاؤها فى محافظات الجمهورية.. ولا تتوقف المؤتمرات والندوات ويتبعها فى القاهرة أهم مركز لتوثيق التراث الحضارى والطبيعى بالقرية الذكية وتدعمه وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ويعرض خرائط لمصر ومواقع التراث المعمارى والتاريخى والشعبى.. ويستقبل الزوار وتلاميذ المدارس وطلبة الجامعات ليتعرفوا على بلدهم وتاريخها.

لا يوجد مثقف أو صاحب فكر أو مؤرخ أو باحث إلا واستفاد من مكتبة الإسكندرية.. واستمتع بثقافة ومحاضرات وأدب وعلم الدكتور اسماعيل سراج الدين الذى أعطى وقته ووهب ١٥ عاماً من عمره للمكتبة وحولها إلى صرح ثقافى يفخر ويعتز به كل مصرى.

اختار مجلس أمناء المكتبة الدكتور مصطفى الفقى ليتولى إدارتها خلفاً لسراج الدين.. وهو اختيار صادف أهله.. فلا يوجد من لا يعرف هذا الدبلوماسى القدير أو يشكك فى علمه وثقافته وموهبته فى اجتذاب مسامع الجماهير عندما يتحدث لغزارة معرفته ومعلوماته.. فهو أديب وحكاء وكاتب وسياسى.. ولذلك فهو قادر على استمرار الصرح فى أداء مهمته وتطويره لتكون الثقافة متاحة لكل المصريين فى كل مكان بالقرى والنجوع فذلك أحد أحلامه واعتقد انه سيعمل على تحقيقه.

إذا كان الفضل فى إعادة إحياء مكتبة الإسكندرية يعود للمؤرخ الراحل السكندرى مصطفى العبادى حينما أشار إلى ذلك فى كتاب نشره بعنوان «مكتبة الإسكندرية.. سيرتها ومصيرها».. فإن الدولة التقطت الخيط وكان للسيدة سوزان مبارك جهد كبير فى مشروع الاحياء يجب أن يذكر لها بكل موضوعية وبعيداً عن أى مواقف سياسية.

فى اعتقادى ان كل سكندرى بل وكل مصرى مدين بالشكر للدكتور اسماعيل سراج الدين.. وعليه الدعاء للدكتور مصطفى الفقى بالنجاح فى مهمته الجديدة كما عودنا على النجاح فى كل ما يتصدى له.. بشرط ألا يحرم جمهوره من برامجه وحكاياته.